

دور الشعراء في توفير الأمن والاتحاد في نيجيريا دراسة تحليلية لقصيدة ذاكر الحاج شريف بعنوان: أوقفوا حمام الدم

نور عتيق بلاربي

Abstract

This research titled: *The role of poets in providing security and Unity in Nigeria: an analytical study of the poem of Zakir Alhaj Sharif titled: STOP THE BLOODBATH* is meant to discuss how Arabic poetry in line with the established peace since the pre-Islamic period as a means of solving social problems expectably in situations of peace making and bringing unity among communities. After the introduction, the researcher discussed the biography of the poet, then his role in building peace and security in the country by stating with good examples that both Islam and Christianity call on the people to respect each other and live together in peace. The researcher also studied the artistic values of the poem which include the thyme, emotion and imagination.

المقدمة:

تعود الشعر العربي منذ العصر الجاهلي أن يتماشى مع واقع حياة الأمة صفوا وكدرا، رخاء وبؤسا لأنه شعور، ومن طبيعته أن يكون تصويرا لواقع الحياة، كما تعود الشعراء منذ ذلك الحين أن يساهموا في نشر وتوفير الأمن والأمان والاتحاد بين الناس جماعة وأفرادا، حتى كانت الحروب والمشاكل الاجتماعية مما يؤرق بعضهم كما حدث هذا لزهير بن أبي سلمى عندما وقعت واقعة داحس والغبراء. في تلك الأجواء التي لا تسمع فيها الأذن إلا أصوات السلاح، ولا ينصرف الفكر فيها إلى غير الحرب، ولا يقضي البشري حياتهم في غير العداوة، قام زهير يدعو إلى السلم وينفر الناس من الحرب بإظهار ويلاتها، ويعلن أن كل غرامة مهما كانت باهظة تعود خفيفة في جانب النعمة التي يضيفها السلام على الناس، وبهذا سعى البعض في الصلح وحقن الدماء وتحملات ديات القتلىⁱ، وكان شعره خير مساهمة في تطوير هذا الصلح والأمن بين القبيلتين. واستمر يمدح من سعى للصلح علّه يثير بهذا غبطة الآخرين فيعملوا عملهما ويتوفر الأمن في المجتمع، فقال فيهما:

سعى ساعيا غيظ بن مُرّة، بعدما تبزّل ما بين العشيرة بالدم
يمينا، لنعم السيّدان وجدثما على ك ل حالٍ من سحيل ومُبرمⁱⁱ

هذا هو حال الشعر العربي في العصر الجاهلي، ولم يختلف الأمر بعد مجيء الإسلام ونلمس تلك الظاهرة بداية من اسمه الإسلام فهو من السلام والأمن، والإيمان مصدر آمن، وأصل آمن من الأمن ضد الخوفⁱⁱⁱ، والإحسان من أحسن وهو ضد الإساءة وهذا هو الدين الإسلامي، فاندفق الشعراء تحت هذه الراية يساهمون بشعرهم في توفير الأمن والسلام في جميع النواحي.

ومن سنة الله سبحانه وتعالى أن يبتلي خلقه خيرا وشرًا لحكمة يعرفها، يقول تعالى: "ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون"^{iv} ولحكيم إبتلى الله تعالى البلاد النيجيرية بمثل هذه الاضطرابات والويلات، الأمر الذي حرّك وأثار عاطفة الشعراء النيجيريين فقالوا أشعارا يضيئون للأمة بها الطرق المثلى لتوفير الأمن في المجتمع تمسكا بما ورثوه من جيل العصور الغابرة من الشعراء العباقرة. ولهذا مال الباحث إلى كتابة مقالة تهدف إلى إبراز مساهمات الشعراء النيجيريين في هذا المجال بدراسة قصيدة واحد منهم وهو الشاعر الدكتور ذاكر الحاج شريف البرناوي الذي ساهم مساهمة جبارة في هذا الميدان، فيبرز بهذا مدى اهتمام الشعراء بأمر الناس وتوضيحهم طرق الأمن والسلام في البلاد. وتكون المقالة على الخطط التالية:

- المقدمة
- حياة الشاعر
- نص القصيدة
- تحليل أفكار النص
- الصور الفنية
- الخاتمة والمراجع

حياة الشاعر

هو محمد ذاكر شريف الحسن، ولد في مدينة ميدغري ولاية برنو سنة 1970م، تعلم القرآن أول وهلة من حياته على يد والده، وفي سنة 1978م أرسل إلى معهد الشيخ أحمد علي أبي الفتح الليرواوي وأخذ مبادئ العلوم العربية والإسلامية، بعد ذلك التحق بكلية الدراسات الإسلامية العالية سنة 1984م وأخذ منها العلوم اللغوية من نحو وصرف وأدب وغير ذلك حسب النهج المقرر لتلك المرحلة، وقد حاول الشاعر

قرض الشعر منذ تلك الأيام لما اكتسبه هناك من المهارة الأدبية بتعلمه الأصول في الأدب العربي من الشعر الجاهلي إلى العصر الحديث، وتخرج فيها سنة 1990م. واصل الشاعر السير في قافلة المتخصصين في اللغة العربية فالتحق بجامعة ميدغري وحصل على شهادة الليسانس في اللغة العربية سنة 1998، وقد تعمق هناك في الدراسات الأدبية مما أعطاه خبرة شعرية واسعة في فجر حياته، ثم التحق بجامعة بايروا وحصل على شهادة الماجستير في اللغة العربية، وحصل على شهادة الدكتوراه في اللغة العربية بجامعة عثمان بن فودي صكتو سنة 2012م،

وكان الشاعر من الشعراء المعاصرين الشباب الموهوبين الذين قرضوا الشعر في مختلف الأغراض، وخاصة الأمور التي تمسّ القضايا الاجتماعية ومحاربة الفساد الخُلقي والاجتماعي مما يبدهد كيان المجتمع ويشتت الأمة، وآية ذلك ديوانه المعنون بـ "وحي الألم" الذي وردت القصيدة التي يقوم الباحث بدراستها فيه والذي تضمن قصائد متنوعة تصور حياة الأمة النيجيرية بذكر ما تقاسيه من آلام وما تضره من آمال.

وللشاعر إنتاجات أدبية قيمة منها:

ديوان وحي الألم، مطبوع

فن الترجمة مشكلات وحلول، مطبوع

زهديات أبي نواس: دراسة نقدية، مخطوط

الوسمة "ترجمة وتحليل لكتاب The Infamous of act by Muhammad sule J. مخطوط

رواية بعنوان: نتيجة الحب: مخطوط

ولم يزل الشاعر حيا يرزق يمدّ اللغة العربية وثقافتها بقريحتة وأفكاره وأقواله وأحواله، ومحاضرا بقرية اللغة العربية انغالاً.

نص القصيدة:

عَنون الشاعر القصيدة بـ "أوقفوا حمّام الدم" وهي ثلاثة وثلاثون بيتا على بحر الخفيف الذي تتردد تفاعيله على:

فاعلاتن مستفَع لَن فاعلاتن
ومطلعها:

ضجّة ثم ضربة واقتتال واخترق القانـون
والغـواء

باسم من يقتل الغرير جهارا أصليب أم أنها السحاء

ما لكم كيف تقتلون بريئا باسم دين حاشاه ذاك هراء

ما ألفنا للأمتين متابك نشر القتل أيها
العقلاء

ما عرفنا الفرقان إلا كتابا جاء سلما وباركته السماء

ما عهدنا الإنجيل إلا كتابا ينشر السلم إذ طغى الجهلاء

ما لكم كيف ترتضون بعنف راح فيه الأطفال راح النساء

ما لكم تقتلون رأس رجال جاوروكم؟ فهم لكم أقرباء

ما لكم قد عميتموا عن رشاد ما بكم هذه هي الشنعاء

ما هو السلم قد تولى وولى بدموع فابكوا أيا بصراء

والدواهي تنن من قبل لكن خرجت بغتة فساد البلاء

قطعت من كبولها وتعامت فتلظى بنارها الفرقاء

وغدا الكل في هياج وضيق وتعالى الخناق والبغضاء

وحذار من فتنة تأكل الأخ ضر أكلا فيكثر الضوضاء

فرّقوا بين ساسة قد دعوكم لفناء عدتكم النكبـاء

فهم أنشبوا المخالب في السلـم م جهارا ليفني الفقراء

أضرموا بينكم وبينهم نـيـم ران كره فسيطرت جهلاء

همّهم مالكم إذا نهبوه أشعلوا فتنة فلات النجاء
أيها المسلم الغيور تأمل في سطوري لأن فيها دواء
هل أجاز الإسلام قتل كتاب ي وفي ذمة حماه التجاء
هل أباح الإسلام دم صبي وذوات الخدور يا فقهاء
يا مسيحي بالذي حمل الإن جيل دينا وحوله الرفقاء
هل مسيح يرضى بقتل ونهب وهو للسقم بلّسّم وشفاء
هل مسيح يرضى بإشعال نار لاضطراب حاشاه ذاك هراء
لك دين كما ترى لي دين فعلام القتال
والشحناء
كن كما شئت يا حليف صليب فاتجاهي الحنيفة الغراء
فلنحشها هنا بدون اقتتال أو سباب فيكثر النصحاء
هذه أرضنا تسامح فيها كل أجسادنا فعمّ
الرخاء
هذه أرضنا لو اجتاحتها با غ هجمنا عليه يا عقلاء
اعملوا كلكم لأجل سلام وبه قد تداعت الجهلاء
وأميظوا عنا الشنار بخلق ترتضيه فيذهب
البغضاء
وسلام لأرضنا أبد الدهر ر وأمن ويهربن
البلاء

فكرة النص:

الفكرة الرئيسية لهذا النص هي الدعوة حول صلاحية المجتمع بإقامة العدل وترك الفتن وتوفير الأمن والسلام والاستقرار في البلاد، والتألف والتكاتف والالتئام بين

أفراد المجتمع النيجيري بغض النظر عن اختلاف الأديان والعقائد والتقاليد، وهذا ما تتطلبه البلاد في هذه الحالة الحرجة التي نعيشها اليوم، حياة اضطراب وخوف وتقهر وتدمير، وقد فرّع الشاعر أفكاره إلى فروع يراها تغطي غايته وتوصل رسالته إلى المجتمع حتى لا ينفلت منه جانب يريد أن يُعرضه للمجتمع في دقة متناهية على النحو التالي:

وصف الاضطرابات التي تحدث في نيجيريا:

افتتح الشاعر القصيدة بوصف ما آلت إليه البلاد من الأحوال ليذكر القارئ والسماع حقيقة الأمر ويتجنبه، فوصف المآسي الواقعة من الضرب والقتال والعنف واختراق القانون وقتل الأبرياء وخاصة النساء والأطفال، مبينا أن هذه الأمور تقع غالبا باسم الذود عن الأديان إما إسلاما وإما نصرانية، وكلا الدينين لم يشر إلى هذا، ولم يرض به فقال:

ضجّة ثم ضربة واقتتال واختراق القانـون
والغلواء

باسم من يقتل الغرير جهارا أصليب أم أنها السحفاء؟

ما لكم كيف تقتلون بريئا باسم دين حاشاه ذاك هراء

واستمر الشاعر يخاطب الناس بأسلوب استفهام تقريبا وتوبيخا ولوما لإعراضهم عن الدين وعن أوامر الله تعالى المنزلة في كتبه، ويشير إلى أن من أسباب إشعال نيران الفتن في البلاد عدم تمسك الناس بأوامر الله تعالى، وقد جرت سنة الله تعالى أن يعاقب كل مجتمع أعرض عن أوامره وعن التمسك بشرائعه، فيعاقب الله ذلك المجتمع بتسليط الظالمين والتدمير والاضطرابات ومختلف أنواع العذاب، يقول تعالى: "وكأين من قرية عنت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا"^{vii} ولهذا فرض الإسلام على أمته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وصرّح بذلك النبي صلى الله عليه وسلم قائلا: «لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْ عِنْدِهِ ثُمَّ لَنَنْدَعُوهُ فَلَا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ»^{vi} والإعراض عن هذه الظاهرة يكفي أن يوقع الناس في بليات لاتعد ولا تحصى. ولهذا نفى الشاعر في مستهل قصيدته وقوع هذه الفتن دفاعا عن الدين بل إن الناس في ذلك يتبعون هواهم ورغباتهم لقضاء حوائجهم.

السياسة النيجيرية من أسباب الفوضى في البلاد:

من الأفكار التي عرضها الشاعر في هذه القصيدة أن الحكومة تمت بصلة لكل ما يحدث في البلاد، ذلك لأن فساد المجتمع كثيرا ما ينشأ من فساد الحكومة، فهي التي تصلح ما فسد في المجتمع وتقوم ما اعوج من المبادئ، وإن كانت الحكومة فاسدة تسرب الفساد إلى المجتمع، ولهذا يقول تعالى: "وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا"^{vii} ويرى الشاعر أن ما يحدث في البلاد يختلف عن كل هذا ويزيد، لأن زعماء تساند الحكومة في وقوع الفتن في البلاد وذلك بنهبهم الأموال وترك العامة تحت وطأة الفقر والفاقة والبأس، وفي هذا يقول الشاعر:

فرّقوا بين سياسة قد دعوكم لفناء عدتكم النكبساء
فهم أنشبوها المخالب في السل ——— جهارا ليفني الفقراء
أضرموا بينكم وبينهم نية ——— ران كره فسيطرت جهلاء
همهم مالكم إذا نههوه أشعلوا فتنة فلات النجاء

فالشاعر يرى أن السياسيين في الحكومة أسهموا في تلهب نار الفتنة في البلاد، لأن الرؤساء هم من يشب نار الفتنة بين الفقراء ليشتغل الفقراء بالفتن وهم يشتغلون بنهب الأموال والخيانة، وهذه حقيقة لا أظن أن الكثير يخالف الشاعر فيها، فمثلا إذا انتخب زعيم سياسي لمنصب الرئيس اليوم تجده بعد أيام قلّة اكتسب أموالا طائلة لاتدري من أين اكتسبها لأن راتبه الخاص إذا جمع لا يبلغ عُشر ما يمتلك، فمن أين اكتسب المال إذا؟ وفي الحال تجد نفسها من بين الفقراء من لا يحصل على قوت يومه ولا على نفقات عياله بل بعضهم ليس له عمل يعيش به والكثير منهم ربما درس وتخرّج في إحدى الجامعات أو إحدى الكليات ومع هذا لم يحصل على وظيفة يقات منها، فكيف يتم الأمن والاستقرار في البلاد بهذه الطريقة، ويرى الشاعر أن هذا وذاك من أسباب انتشار الفوضى والاضطراب في البلاد. ولهذا استغلّ هذه الفرصة ووضّح الأمر للشعب النيجيري ليفيقوا من غفلتهم ويكفوا عن محاربة بعضهم لغرض لايعرفونه، فيتأذوا به ويستغل غيرهم هذه الفرصة السانحة فيضيع بها أموالهم.

الدعوة إلى التمسك بتعاليم الدين في السماحة والعفو:

دعى الشاعر الشعب النيجيري في هذه القصيدة إلى التمسك بالدين تمسكا حقيقيا بامثال الأوامر واجتناب النواهي الواردة في ذلك الدين، ولم يخصص الفكرة بدين واحد لأن البلاد لا تتبع ديناً واحداً، ولكن أكثر الأديان النيجيرية أتباعاً هي الإسلام والمسيحية، وكلاهما يدعو إلى الصفح والعفو والتغاضي والتآلف والاتحاد بين الأفراد، ولهذا لفت الشاعر انتباه القارئ سواء كان مسلماً أو نصرانياً بمجرد أن كان نيجيريا فالشاعر دعاه إلى التمسك بدينه وإطفاء نار الفتن والافتتال بين الأمة، استمع إلى الشاعر يقول في هذا:

أيها المسلم الغيور تأمل في سطوري لأن فيها دواء
هل أجاز الإسلام قتل كتابي وفي ذمة حماه التجاء
هل أباح الإسلام دم صبي وذوات الخدور يا فقهاء
يا مسيحي بالذي حمل الإنجيل دينا وحوله الرفقاء
هل مسيح يرضى بقتل ونهب وهو للسقم بلسم وشفاء
هل مسيح يرضى بإشعال نار لاضطراب حاشاه ذاك هراء
لك دين كما ترى لي دين فعلام القتال
والشحناء
كن كما شئت يا حليف صليب فاتجاهي الحنيفة الغراء
فلنحشها هنا بدون اقتتال أو سباب فيكثر النصحاء

استخدم الشاعر أسلوب استفهام يفيد معنى النفي^{viii} جذبا لانتباه السامع إلى ما يدعو إليه وهو أن الأديان السماوية جميعها لم تبح إراقة الدماء الباردة، فبدأ ينبه المسلم بأن دينه ينكر عليه قتل المسيحي أو الصبيان والنساء، وخاصة أن أمره لم يقتصر على هؤلاء بل يشمل إخوانه المسلمين، والإسلام له مبادئ عليها يجب أن يبني المسلم حياته، ومن ذلك الصفح والعفو عند المقدرة، وفي هذا يقول تعالى: "ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم"^{ix} هذا هو الحل، وليس أن يرد الإنسان رداً عنيفاً يُفني به حياة غيره، وصح في الحديث قوله عليه الصلاة

والسلام: "لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلا بإحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة"^x كما أن الإسلام لم يسمح له أيضاً أن يعامل من خالفه معاملة سيئة امتثالاً لقوله تعالى: "ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون"^{xi} وإن ظلم المسلم فقد وضع الإسلام له قاعدة عليها يتحاكم وهي أن يصبر فينال بذلك الأجر وإن لم يقدر فينتقم بمثل ماظلم، وفي هذا يقول تعالى: "وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولنن صبرتم لهو خير للصابرين"^{xii} بل أضاء الإسلام للمسلم طريق الحل إذا شبت نيران الفتن بينه وبين غيره، فقال تعالى: "وإن جنحوا للسلم فاجنح لها فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم"^{xiii}

ثم التقت الشاعر يسأل المسيحي استفهام إنكار لينبئه على أن الديانة المسيحية تشيخ تلك الفكرة المذكورة في الإسلام، فقد كانت المسيحية تدعو إلى السلم ومراعاة حقوق الآخرين والعفو عند المقدرة، فقد صح في الإنجيل قول عيسى عليه السلام: "سمعتم أنه قيل: تحب قريبك وتبغض عدوك. وأما أنا فأقول لكم: أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيك، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم"^{xiv} وكما صدر الأمر بالصبر على كل من ظلم الإنسان بل على المتمسك بالديانة المسيحية أن لا يغضب لأي أذى يصيبه من غيره، وفي هذا ما ورد في الإنجيل من قول المسيح: "من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر، ومن سرق قميصك فاعطه إزارك"^{xv} وإن كان الأمر كذلك وقد كان فأنى للمتمسكين بهذه الأديان أن يقتحموا في دب الشحناء والبغضاء بين الناس فضلا من سفك دماءهم ونهب أموالهم وإحراق مساكنهم ومعابدهم باسم الدين، حاشا الدين ذلك وحاشاه. وأخيرا جاء الشاعر بفلسفة جيدة وهي أن السلام والأمان لا تعني أن تترك دينك وعقيدتك وتقاليدك لتتمسك بما اعتقده غيرك، لا! وإنما السلام والأمان في أن تتمسك بما أمنت به وتترك غيرك يقوم بما اطمئن به في سلام وأمان على أساس "لكم دينكم ولي دين"^{xvi} وإذا ثبت هذا عم البلاد الأمان والأمان والاستقرار.

الدعوة إلى التآلف والتكاتف:

نبه الشاعر الشعب النيجيري وذكرهم بتلك الصداقة والتآلف والتكاتف الذي عايشه الأجداد سابقا في هذه البلاد بغض النظر عن اختلافهم الديني والقبلي، وبهذا وصلوا إلى مرادهم ورفعوا من شأن البلاد. ويمثل هذا قول الشاعر:

هذه أرضنا تسامح فيها كل أجدادنا فعمم
الرخاء

هذه أرضنا لو اجتاحتها با غ هجمنا عليه يا عقلاء

اعملوا كلكم لأجل سلام وبه قد تداعت الجهلاء

وأميظوا عنا الشنار بخلق ترضيه فيذهب
البغضاء

وسلام لأرضنا أبد الدهر وأمن ويهربن
البلاء

عاش أجدادنا تحت ظل الأخوة الوطنية والأمن والسلام، مغضين عن كل شحناء وبغضاء تتسرب فيهم وتدمر ذلك الاتحاد الذي كان بينهم، فتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة فيما بينهم، وتكفل كل واحد منهم لبناء صرخ شامخ عال بالدعائم المتينة التي نستفيد منها في حياتنا اليوم، فكان الشاعر يذكر أمة اليوم بأن السلام لا يكون إلا بما أثبتته من قبل وهو هذا التكتاف بين الشعب، ويدعوهم أيضا إلى رمي العصبية والقبلية وراء الوراء، وتأسيس مبدأ الإخاء والأمن والاستقرار، فتسود في الناس الألفة والمحبة ويعيشوا في سلام وأمان.

الصور الفنية:

وضع الشاعر رسالته هذه في صورة فنية رائعة تجذب العقل واللب إلى الاصغاء إليها وإلى تتبع أفكاره فيها، ومما يظهر براعة الشاعر في القصيدة حسن المطلع وهذا مما اعتنى به النقاد عناية فائقة، فأجادوا من المطالع ما بذل الشاعر الجهد في إجادته وإتقانه، علما منهم بقوة الأثر الأول في النفس، "ولأنه يدفع السامع إلى التنبه والإصغاء إن كان جيدا أو إلى الفتور والانصراف إن كان ضعيفا، وصرخوا همهم إلى الإبداع فيه"^{xvii} وقد أجاد الشاعر في المطلع إذ أوقعه مجردا خاليا من القيود ليوحى بذلك أن القصيدة صادرة من عاطفة صادقة، لما شاهده الشاعر وعاشه في مدينته مئذغري التي لم يجهل أحد ما وقع فيها من الويلات والاضطرابات. فلذلك أوقع المطلع مباشرة قائلا:

ضجة ثم ضربة واقتتال واخترق القانوان
والغلواء

باسم من يقتل الغرير جهارا أصليب أم أنها السمحاء

وربما أحرق الخوف والغضب قلب الشاعر نظرا إلى أنه يعيش في تلك البيئة التي ساءت فيها الأحوال وشبت نيران الفتن، وتطايرت الشرور والمآسي، فأدت إلى إيقاع المطلع مباشرة، ومهما يكن من أمر فإن الشاعر قد أحسن حيث لخص مغزى قصيدته في المطلع الذي صور حالة العنف والبأس التي حدثت نتيجة للاضطرابات.

ومن الصنعة الشعرية الجيدة في القصيدة استخدام الشاعر أسلوب الإستفهام الخارج عن غرضه الأصلي إلى غرض آخر جذبا لانتباه القارئ، ومن ذلك قوله:

ما لكم كيف تقتلون بريئا باسم دين؟ حاشاه ذاك هراء

فالشاعر هنا يسأل الناس عن سبب قتل بعضهم البعض، إلا أن الشاعر لا يريد الجواب من هذا الاستفهام وإنما غرضه من ذلك التوبيخ والزجر^{xviii} وهكذا قوله:

ما لكم كيف ترتضون بعنف راح فيه الأطفال راح النساء

ما لكم تقتلون رأس رجال جاوروكم؟ فهم لكم أقرباء

ما لكم قد عميتموا عن رشاد ما بكم هذه هي الشنعاء

فالغرض من الاستفهام هو التقرير أيضا، وقد يكون الشاعر استخدم هذا الأسلوب ليوقظ الناس من غفلتهم التي توقعهم في الفتن والمهالك.

وكما استخدم الشاعر أسلوب الاستفهام لغرض آخر يرى أن المخاطب يلتفت إليه بهذا كقوله:

باسم من يقتل الغرير جهارا أصليب أم أنها السمحاء؟

هل أجاز الإسلام قتل كتابي وفي ذمة حماه التجاء

هل أباح الإسلام دم صبي وذوات الخدور يا فقهاء

هل مسيح يرضى بقتل ونهب وهو للسقم بلسم وشفاء

هل مسيح يرضى بإشعال نار لاضطراب حاشاه ذاك هراء

في هذه الأبيات ألقى الشاعر استفهامه لشيء لا يجله هو ولا يجله المخاطب، بل ولا ينتظر الجواب إذ ليس هو الغرض من السؤال وإنما الغرض منه الإنكار، لأن هذه الأديان التي يسأل عن موقفها واضح أنها تعادي هذه الأمور كما مر بنا سابقا.

ومن التراكيب الجيدة في القصيدة الفصل بين جملتين بينهما تمام التباين، كقوله:

ما لكم كيف ترتضون بعنف راح فيه الأطفال راح النساء

يلمس بين الجملتين تمام التباين إذ الثانية من قوله "راح فيه الأطفال راح النساء" جملة خبرية، والأولى من قوله: "ما لكم كيف ترتضون بعنف" جملة إنشائية، فتعين الفصل لكامل التباين وشدة التباعد بينهما خبرا وإنشاء.

ومما أجاد فيه الشاعر من التراكيب الوصل في مقامه على شاكلة قوله:

وغدا الكل في هياج وضيق وتعالى الخناق والبغضاء

بالتأمل في البيت يدرك القارئ أن الجملة الثانية: "وتعالى الخناق والبغضاء" والأولى: "وغدا الكل في هياج وضيق" اتفقتا خبرا ولم يكن هناك سبب يقتضي الفصل بينهما.

ولما كان الخيال هو "الرابطة بين عالم الشعور وعالم الإدراك والفهم وهو ليس مرآة تعكس أفكارا وصورا في الشاعر، بل هو أداة حيّة تزاوّل عملها في ذاكرة الشاعر التي تحفظ جلّ ما يراه ويسمعه وينفعل به طول حياته"^{xix} استعان الشاعر به فصبّ أفكاره في قالب خيالي لتكون صورة مجسدة في ذهن المخاطبين عليهم يعملون بها فتضع الحرب أوزارها بسبب ذلك، ومن ذلك قوله:

والدواهي تنن من قبل لكن خرجت بغتة فساد البلاء

قطعت من قبولها وتعامت فتلظى بنارها الفرقاء

فالشاعر يريد أن يبين ما آلت إليه البلاد من فتن ومصائب التي لا تصيب الذين ظلموا من الناس خاصة فصور المصائب والبليات في صورة وحوش فتاكة قيدت في الأغلال والسلاسل اتقاء شرها، فكان كل ما حاولت الانفلات إلى الفساد وجدت نفسها مكبولة في الأغلال فتسكن، وبهذا سكنت الأحوال واستقرت الأمة، وبعد الاطمئنان وراحة البال والناس منشغلون بأعمالهم اليومية بعضهم في السوق والصبيان في

المدارس والنساء في المدينة يتجولن إذا بمجنون فك قيد تلك الوحوش ودخلت المدينة تقصد الناس تريد إهلاكهم ياترى! من ينجو من تلك المصيبة؟ وإن نجى فكيف أولاده ونساءه وأقاربه؟ هذا هو الحال في تلك البيئة فهي فتن تشمل المجرم والبريء والقاعد والمتحرك، فإننا لله وإنا إليه راجعون. انظر كيف جسّد الشاعر هذه المعاني لتثير المشاعر وتهيج الإحساسات بخياله الواسع، ولهذا ذهب بعض النقاد إلى أن "الخيال هو الأساس في الأدب"^{xx}

ومن الصنعة الخيالية الجيدة في القصيدة قول الشاعر يصف بعض الرؤساء:

فهمُ أنشَبوا المخالب في السُلـ مـ جـهـاراً لـيفـني الفـقـراء

أضـرمـوا بـينـكم وبيـنهمُ نيـ ران كـره فـسيـطرت جـهـلاء

فالشاعر يبين أحوال بعض زعماء البلاد في تسخير بعض الناس لمصالحهم الفاسدة من شبّ نيران الفتن ونشر المخدرات بين الشباب لأسباب سياسية، وهذا مما يساعد في إحياء دابر الفتن، إلا أنه أخذ صورة من البيئة وصوّر بها هذه الفكرة في صورة مجازية، فوصفهم بأسود أنشبت مخالبها لقتل وفتك فريسة، بمعنى أن هؤلاء الرؤساء يعتبرون الناس فريسة لهم فلذلك يستخدمونهم في مصالحهم الشخصية الفاسدة، كما شبه الفتن الدائرة بين الأمة بالنيران لأنها تحرق كل ما قاربها بل حتى الذي أوقدها، وهكذا هذه الاضطرابات تمس من له صلة بها ومن ليس له بها أية صلة.

الخاتمة:

فيما مر من الصفحات دراسة تحليلية لقصيدة الشاعر الدكتور ذاكِر الحاج شريف المعنونة بـ "أوقفوا حمام الدم" وقد قرضها الشاعر لما رأى من انتشار البلايا وتلهب نيران الفتن بين الشعب النيجيري، وفيما ظهر أن الشاعر أسهم إسهاماً جباراً في توفير الأمن والاتحاد في نيجيريا، وهذا هو دأب الشعر العربي منذ العصر الجاهلي إلى اليوم، ومما لاحظته الباحث أن الشاعر جاء بفكرة جيدة لو جعلها الناس نصب أعينهم وطبقوها لزالّت الاضطرابات وسكنت الأحوال وعم البلاد الاطمئنان والاستقرار، كما أشار إلى أن الأديان السماوية التي يتمسك بها النيجيريون دعت إلى الصفح والعفو والتسامح بين السكان، وأخيراً دعى الشعب إلى الأخذ بما أخذ به الأجداد فيما مضى من الاغضاء والتسامح بينهم بغض النظر عن اختلافهم دينياً وقبيلةً مما مهد لهم جذور السلام والأمن وفتح لهم أبواب الأرزاق. وقد استعان الشاعر بأسلوب جيد

حبّذه النقاد في إيصال هذه الرسالة إلى الشعب النيجيري واستعان بالخيال الواسع
ليرسم لهم حقيقة ما يحدث ويحذرهم عاقبته. نسأل الله سبحانه وتعالى أن يفرج عنا ما
نعانيه من المشاكل الأمنية في بلادنا النيجيرية وفي العالم كله. وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الهوامش والمراجع

- i- الأصفهاني، أبو الفرج، *الأغاني*، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر بيروت، الطبعة الثانية، ج:17، ص:191
- ii- الشنقيطي، أحمد أمين الشيخ، *شرح المعلقات العشر وأخبار أصحابها*، دار المعرفة بيروت، ط:3، 2007، ص:95
- iii- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، *تهذيب اللغة*، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الأولى 2001م، ج:15 ص:318
- vi- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، *السنن الكبرى*، نشر: مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد، الطبعة: الأولى - 1344 هـ، ج:2 ص:264
- viii- وهو من أرقى أساليب الإنشاء، راجع: السيد أحمد الهاشمي، *جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع*، دار الفكر بيروت لبنان سنة 1978م. ص: 144
- ix- سورة فصلت : 34-35
- x- محمد بن فتوح الحميدي، *الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم*، تحقيق: د.علي حسين البواب نشر دار ابن حزم - لبنان/ بيروت - 1423 هـ - 2002م، طبعة: 2 ج:1 ص:116
- xiv- راجع: *الكتاب المقدس*، (مت) 5: 43 ، 44
- xv- راجع: *الكتاب المقدس*، (يوحنا) 18:23
- xvii- أحمد أحمد بدوي، *أسس النقد*، المرجع السابق، ص: 297
- xviii- وهذا من محسنات التركيب، راجع: السيد أحمد الهاشمي، *جواهر البلاغة*، المرجع السابق، ص:146
- xix- الشاذلي، حسن فرهود، *البلاغة والنقد*، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، 1979، ص:104
- xx- طه حسين، الدكتور، *في الأدب والنقد*، دار المعارف، 1999، ص: 14